ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Zainab Jawad Musa Al-Shahtoor
University: University of Dhi Qar
College: College of Basic Education
Email: zainab.j.m@utq.edu.iq

Keywords:
Motherhood, Al-Hutai'a , Cultural PatternA R T I C L E I N F O

Article history:
Received 21 May 2022
Accepted 4 Jun 2022
Available online 1 July 2022

Motherhood in the poetry of Al-Hutai'a
A study in the cultural Criticism

A B S T R U C T

The woman represents half of the society and that the creative text or language does not favor anyone, whether it is male or female, but rather the language biases the creator. Language is not racist or exclusionary, but rather it is the entity of freedom and the source of inspiration, or the house of existence. The man tried to conquer the woman when he was in the primitive life that is based on the survival instinct, and the strongest is the one who bears its risks based on a previous conviction that the physical structure of the man is stronger than what it is in the woman. The male dominance has become expanding in the social space, and that the virile culture is a state of recognition and legitimacy that has turned into class discrimination, and away from psychological analysis. Cultural criticism played its role in this research in revealing the implications of the presence of the maternity pattern in Al-Hutay'a's poetry, as it is a strange paradox that Al-Hutay'a's dealings with the presence of women in his poetry were a special case in terms of satire or degrading the dignity of those he spelled, so he satirized his mother and described her with bad descriptions .

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

الامومة في شعر الحطيئة / دراسة في النسق الثقافي

م.م. زينب جواد موسى الشحتور/كلية التربية الأساسية – جامعة ذي قار

الخلاصة:

تمثل المراة نصـــف المجتمع وان النص الابداعي او اللغة لا تتحيز لأحد اذ كان ذكرا او انثى انما تتحيز اللغة للمبدع ، فاللغة ليسـت عنصـرية او اقصـائية وانما هي كينونة الحرية ومنبع الالهام ، او بيت الوجود ، وقد حاول الرجل قهر المراة عندما كان في الحياة البدائية التي تقوم على اســـاس غريزة البقاء وكان الاقوى هو الذي يتحمل مخاطرها اســتنادا الى قناعة ســابقة مفادها ان البناء الجســمي للرجل اقوى من ما هو عليه لدى المراة واصــبحت الهيمنة الذكورية تتوســع في الفضــاء الاجتماعي وان الثقافة الفحولية حالة من الاعتراف والشــرعية التي تحولت الى تمييز طبقي ، وبعيدا عن التحليل النفســي فقد مارس النقد الثقافي دوره في هذا البحث في الكشـف عن مضـمرات حضـور نسـق الامومة في شـعر الحطيئة اذ انه من المفارقات العجيبة ان

الحطيئة كان تعامله مع حضـــور المراة في شـــعره حالة خاصـــة من حيث الهجاء او الحط من كرامة الذين يهجيهم فقد هجا امه ووصفها باوصاف سيئة .

مقدمة :

كشفت معظم المدونات النقدية القديمة والحديثة التي قاربت موضوع المرأة في الشعر الجاهلي والاسلامي بانها مثلت انساقا ثقافية ذات تمثيلات لها حضور مركزي في النص الابداعي ، ولكن الذي يمكن ان نسلط الضوء عليه في هذا البحث هو نسق الامومة في شعر الحطيئة ، فقد اشتهر الحطيئة بالهجاء المقذع ، حتى ان معظم قصائده بنيت على موضوع الهجاء ولم تكن هناك حدود او خطوط حمراء امام هذا الهجاء ولقد كان هجاؤه نابعا من شخصيته المضطربة ، والمتمردة التي عبر عنها في هجائه عندما هجا امه وابيه ، وينبثق من هذا التمرد مجموعة من التساؤلات التي يفرضها النقد الثقافي منها ماهية النسق المضمر الذي يكشف عنه الشعر الخاص بالمرأة في شعر الحطيئة ، فضلا عن كيفية تمثيل حضور الام في النسق الثقافي ، كما ان البعد المضمر الذي يكشفه نسق الامومة في شعر الحطيئة من حيث الاختلاف والتماثل مع النسق الاخر من الشعر العربي القديم .

المبحث الاول :

المرأة والنقد الثقافي

طرح عالم الاجتماع بورديو قضية اساسية فضحت الهيمنة الذكورية وكيف حدث التواطؤ التاريخي والاجتماعي في تحويل قضية بيولوجية الى مسالة ثقافية ، وقد حاول الرجل قهر المراة عندما كان في الحياة البدائية التي تقوم على اساس غريزة البقاء وكان الاقوى هو الذي يتحمل مخاطرها استنادا الى قناعة سابقة مفادها ان البناء الجسمي للرجل اقوى من ما هو عليه لدى المراة ، ولخوف الرجل على المرأة لاعتقاده بضعفها وعدم إمكانية تحملها الصعوبات من حيث ما يرتبط بمخاطرة الحياة الخارجية[1] .

وعلى ضوء هذا التنازل البيولوجي فقد قبلت المراة ان تكون في المنزل او البيت ولكن بمرور الزمن تحول هذا التنازل البيولوجي الى نوع من الاستلاب والقهر الاجتماعي على المراة عززته السيرورة التاريخية فبدأت المرأة التي سكنت المنزل وتوارت خلف جدرانه بتحويل حالة التهميش الى فلسفة وثقافة عملت على تهميشها

[1] . ينظر كتاب الهيمنة الذكورية / بيار بورديو : 121

ومحوها ثقافيا[2] ، واصبحت الهيمنة الذكورية تتوسع في الفضاء الاجتماعي واصبحت الثقافة الفحولية حالة من الاعتراف والشرعية التي تحولت الى تمييز طبقي فقد اكدت الاساطير والفلاسفة على هذه الحالة وان كان افلاطون قد قسم البشرية الى ثلاثة أقسام : امرأة ، ورجل ، وخنثى ، وهو الجنس الثالث المشترك بين الذكر والأنثى ،، وكان الكائن الأول وحدة كاملة ، اتصفت بالقوة والبأس ، مما جعلها مخيفة مهولة أصابها الغرور لامتلاكها هذه الصفات ، حتى هاجمت الآلهة ،لذلك غضب عليها الإله (زيوس) وعاقبها وشطرها الى شطرين فصارا أضعف مما كانا عليه وبدأ يتكاثر عدد البشر ، وذلك ماجاء في الأساطير ليوضح حقيقة واحدة هي أن الخطاب واحد ، لأن الأصل واحد [3]، وهذا يخالف ما جاء به أرسطو فقد ركزت فلسفته وخطاباته، على ذكورية الخطاب والثقافة ، ذكر أرسطو ((أنّ الذكر هو الولد التام ، والأنثى هي المخلوق الناقص البعيد عن الكمال))[4]. ،بل كان القديس(توما الأكويني) يعتقد إن المرأة رجل ناقص[5] وهذه الأطروحات كانت نابعة من الفكر المتجذر في منظومة الفكر الأخلاقي ، والاجتماعي لذلك العصر، الذي مثل سيرورة الجدل الطويل عبر القرون ، حول إشكالية الخطاب الذكوري والأنثوي وإمتد إلى عصر النهضة أو الحداثة ، وتحديدا عند الذي رأى أن المرأة ليس لها هدف من الزواج إلا الولد ، وهذا في الاساس تصور اجتماعي قديم يحول المراة الى مولد بيولوجي للرجال لان المجتمع يحتاجهم للدفاع عنه او للحروب لدى بعض الدول العظمى ... الخ ، ولقد بقيت المراة في العصور الوسطى تتصف بانها خطيئة او انها هي التي انزلت ادام من الجنة ، ولم تجد من ينصفها حتى فلاسفة التنوير اذ انه لا يبتعد الفيلسوف (كانط) عن التأكيد على المبدأ الذكوري في الحياة ،عن طريق إطلاقه لعبارته المشهورة (ذكورية العقل)[6] ، وإن النساء لا يعلمن شيئا إلا ما يوجه لهن ، هكذا تبدو محنة المرأة وتعاستها عبر التاريخ ، بأنها تبقى الضعيفة ، التابعة ، الناقصة ، اللاحقة ، الفرع ، السكون ، الصمت ، وكل هذه المقولات هي مقولات فلسفية التصقت بالأنثى وعاشت في ظلها قرون عديدة ترى نفسها كائنا ضعيفا مهمشا[7]، ولكن هذا القهر بدا بالانقشاع في القرن العشرين ووجد طريقه في الاعتراف بحقوق المراة وجرى نوعا ما من التعديل في الخطاب الذي يخص المراة ، حيث أكدت (ليندا جين شيفرد) إن أي تعديل أو تغيير لهذا الواقع يجب أن يبدأ من نقد وتعديل الحياة الإجتماعية ،فالنسوية ((كل جهد نظري أو عملي

---

[2]. ينظر كتاب الهيمنة الذكورية / بيار بورديو : 122 .

[3]. ينظر : المأدبة ، فلسفة الحب ، افلاطون ، ترجمة وليم الميري : 42 ـ 46 .

[4] ـ شروح على ارسطو مفقودة في اليونانية ، ورسائل اخرى ، تح عبدالله الرحمن بدوي، دار المشرق ، لبنان ، 1986: 263 .

[5]. ا ينظر : النظرية الادبية المعاصرة ، رامان سلدن ، ترجمة سعيد الغانمي : 182 .

[6] ـ ينظر : الخطاب النسوي في الادب العربي الحديث ، احمد دوغان ، وزارة الاعلام ، دمشق، ط1 ، 2011 : 35 .

[7]. ينظر المناهج النقدية والنص الادبي ، القبعة والساحر ، د. محمود خليف خضير الحياني : 214 .

يهدف إلى مراجعة او مساءلة أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الإجتماعية الذي يجعل الرجل هو المركز الفاعل ، وهو الإنسان الحائز على الأهلية ، والمرأة جنسا ثانيا ، أو كائنا آخر في منزلة أدنى فتعرض عليها حدود وقيود ، وتمنع عنها إمكانات المشاركة لأنها إمرأة ، وتبخس خبرتها لأنها أنثى ،لتبدو الحضارة البشرية في شتى مناحيها إنجازا ذكوريا خالصا يؤكد سلطة الرجل ويؤطرها ، ويقرر تبعية المرأة له)) .[8]، وهناك العديد من الباحثين الذين كتبوا عن النقد النسوي ممن حاولوا تحديد تطور المصطلح النسوي الى عدة مراحل أهمها :

المرحلة الأولى : أطلقت العنان الى الفكر المؤيد لحقوق النساء في العمل والعلم ،والمشاركة في السلطة السياسية والمدنية ،والدعوة إلى تحريرها من القمع الذي تمارسه السلطة الذكورية عليها . ونتج عن هذا المفهوم موجة نسائية انطلقت في القرن الثامن عشر، وأثبتت أهلية المرأة الفكرية ،وأسفرت عن حصولها على مكاسب سياسية ، مثل حق الإنتخاب [9].

المرحلة الثانية : الأدب النسائي الذي يعنى بإعادة الإعتبار لإنتاج المرأة الأدبي وإنهاء التبعية المبنية على الوعي ،ونتج عنه موجة النسوية الثانية التي دعت لتشكيل الصور الثقافية للأنوثة على نحو يصل إلى النضج واكتمال الذات ،وقد انبعثت هذه المرحلة مع بداية الستينات من القرن العشرين حيث تمايز الخطاب النسوي عن الخطاب الأنثوي[10] بالاتي :

الأول : يصف معاناة المرأة في المجتمع ومشاكلها وقضاياها النفسية وصراعها من أجل تحقيق ذاتها في حين كانت هناك عقد نفسية كثيرة كشفتها المدونات التاريخية والدينية والنفسية ،مثلت تلك الصور للمرأة .

الثاني : أي الخطاب الأنثوي الذي يتسم بصفات خاصة تجعل المرأة جسدا وكيانا والعاطفة هي المركز ، وتنظر المرأة لذاتها في تكوينها البيولوجي والفكري والإجتماعي والسياسي والثقافي ويتأسس على ذلك أن مصطلح الكتابة النسوية يعنى باتخاذ موقف واضح ضد الأبوية والتمييز الجنسي ، فهي كتابة مؤدلجة ، في حين أن

---

[8] ـ انثوية العلم من منظور الفلسفة النسوية ، ليندا جين شيفرد ، ترجمة يمنى طريف الخولي ، عالم المعرفة ، الكويت، 2004 ، ص:11

[9] . ينظر النص الانثوي والنقد النسوي ، مشروعية قراءة في الابداع العراقي ، سلسلة ثقافية شهرية ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، ط1 ، 2020 : 36 .

[10] . ينظر النقد الادبي النسوي في الغرب وانعكاساته في النقد العربي المعاصر ، سعد مانع ، المجلة العربية للثقافة ، سنة 16 ، ع32 ، 1997 ، 75 .

الثقافة الأنثوية تبدو مهمشة من النظام الإجتماعي السائد ، ولم يوثق عملها ونشاطها الكتاب الرجال ، بحجة وقوع المرأة في أماكن ممنوع الوصول اليها ويجب على المجتمع محاصرتها ، لحجبها أمام النظام الإجتماعي الذكوري ، بوصفها نوعا من الكتابة له خصوصيتها وفرادتها على غرار غيرها من الكتابة الإبداعية .[11]،

ولقد ميزت (توريل موي) بين ثلاثة مصطلحات تخص المرأة وهي :

(الحركة النسائية (و(الأنثوية)،و(النسوية)

فالحركة النسائية : هي حركة سياسية .

والأنثوية : مسألة بيولوجية .

والنسوية: مجموعة من الخصائص تحددها الثقافة وتفرضها على المرأة في المجتمعات الذكورية .[12]

وفي هذا التمييز يمكن للباحث في شؤون المرأة الوقوف على حل إشكالية الخطاب الذكوري والأنثوي . مما ساعد الباحثون في التفريق بين الأدب النسوي والأدب الأنثوي ، فالأدب النسوي ينطلق من التمييز الجنسي بين الذكر والأنثى ،فيجعل كل ماتكتبه النساء أدبا نسويا ،اما الأدب الأنثوي فهو الذي ينطلق من موقف عقائدي ويعبّر عن رؤية الأنثى للعالم ،سواء جاء الخطاب فيه على لسان أنثى أو ذكر .[13]

وليس ببعيد عن محاولة النساء في الدفاع عن حقوقهن فقد حاول احد الكتاب الذين يدافعون عن فحولة الثقافة وهو الدكتور عبدالله الغذامي عندما طرح موضوعا مهما جدا في ان مسالة تأنيث الثقافة التي مرت بمراحل تاريخية طويلة قد تصل الى قرون عمل بعيدة عن الواقع لان معناه هدم او تقويض هوية متشكلة في فحولة اللغة والثقافة والمعرفة. [14]

لا نريد ان نشتغل على البعد التفكيكي وتغير مراكز القوى من حيث المركز والتمركز الدريدي (نسبة الى دريدا) ، او فحولة العقل واستخدام السوط كما دعا اليه نيتشه[15] ، ولكن المراة يمكن ان تمثل نصف المجتمع

---

[11]. ـ ينظر مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، بعلي : 109 ـ 129

[12]. المصطلحات الأدبية الحديثة ، محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط 3 ، 2003 ، ص :30 ـ

[13]. ـ مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، حفناوي بعلي ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ،ط1 ، 2009 ،ص11.

[14]. ـ ينظر المراة واللغة ، د. عبدالله الغذامي : 181 ـ 100

[15] . ـ العلم المرح ، نيتشه ترجمة حسان بورقية ، محمد الناجي : 7 ـ 11

وان النص الابداعي او اللغة لا تتحيز لاحد اذ كان ذكرا او انثى انما تتحيز اللغة للمبدع ، فاللغة ليست عنصرية او اقصائية وانما هي كينونة الحرية ومنبع الالهام ، او بيت الوجود كما ذهب هيدغر[16].

المبحث الثاني

عقدة قتل الاب والام الافرويدية

تجلت في مدرسة التحليل النفسي عند افرويد قضية مهمة جدا تم الاستعانة بها في فهم نصوص كثيرة او تأويلها من حيث البحث عن مضمرات حضور الام او الاب في الادب محاولا تفسير كل ظاهرة نفسية بقضية تخص المراة او علاقة الرجل او الطفل بالمراة من حيث كونها اما او زوجة او اختا ، فسلطت الضوء على حضور المراة في التحليل النفسي ومن بعده النقدي انها عبارة عن امراض او عقد نفسية منها عقدة انكلترا ، وعقدة اوديب التي فضحت الضعف الانساني والمكبوتات التي هزت عرش الاتزان النفسي[17] .وذلك فقد عمل الحطيئة على اظهار خصائص الفحولة التي تتجلى مجازًا كليًّا في صورة الامومة ، فالحطيئة عمل على زحزحة النّسق المضمر للأنوثة والكشف عن الهيمنة المركزية للفحولة ، عاملا على دفع بالمهمّش (الأم) ليحلّ محلّه، بحيث تصبح المرأة (الأم) هي المهيمنة في النّص ومن تملك الفاعليّة، إذ تحتل المرأة (الأم) وفق هذ التمظهر النسقي الصّدارة في الخطاب الحطيئة بعد أن كانت تحضر لتسليط الضّوء على الرجل؛ فتصبح موضوعةً أو علامةً ثقافيةً مركزيةً في الخطاب، تدفع بالهامش المرأة إلى الصدارة، ولكن عن طريق الهجاء كما وتنفتح بدورها على موضوعاتٍ إنسانيةٍ تتصل بالمهمشين عمومًا، فالمركز والهامش عند الحطيئة ثنائية ضدية، تكرّس الأوّل وتهمّش وتلغي الآخر ، فهو في نصوصه عن المرأة (الأم) خالف هذا العرف، وخرج عن النّسق المعتاد، فقد عمل على تكريس الثاني المهمش في مواجهة المركز وتعريته وتفكيك سلطته والانقلاب عليه. وبعيدا عن التحليل النفسي فقد مارس النقد الثقافي دوره في هذا البحث في الكشف عن مضمرات حضور نسق الامومة في شعر الحطيئة اذ انه من المفارقات العجيبة ان الحطيئة كان تعامله مع حضور المراة في شعره حالة خاصة من حيث الهجاء او الحط من كرامة الذين يهجيهم فقد هجا امه واباه في قوله

ولقد رايتك في النساء فسؤتني وابا بنيك فساءني في المجلس

---

[16] ـ **الشعر والوجود ، دراسة فلسفية في شعر ادونيس ، عادل الظاهر ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا ن دمشق ، ط1 ، 2000** : 33 .
[17] ـ **الشخصانية ، اما نويل مونييه ، ترجمة محمود جمول ، المنشورات العربية وشركة فرنسية ، ط1 ، 1986 ، لبنان .: 55 .**

ان الذليل لمن تزور ركابه رهط ابن جحش في مضيق المحبس

لا يصبرون ولا تزال نساؤهم تشكو الهوان الى البئيس الأبأس [18]

يتجلى في هذا المقطع الشعري نسق ثقافي مضمر يرفض به حضور الام والأب ، ولكون امه لا يمكن ان تمثل مقابل حسن او جيد بالنسبة للنساء ، فرؤية حطيئة لأمه ومن بعده والده اللذين يمثله حضورهما حالة سوء ، ولعل السوء يتمثل بانهما السبب الذي ليس له به ذنب في ان ينتمي الى قبيلة لا يشعر بالانتماء بها فانتقاصه من امه وابيه هو انتقاص من الانتماء الى هذه القبيلة ، فردة فعله اتجاه القبيلة ارتدت الى انتمائه الاسري ثم القبيلة ، ولكن البيئة الصحراوية او البدوية يمثل عامل النسب ومنزلة القبيلة من مستلزمات الاجتماعية التي ترفع من شان وسمو الشخصية لان البيئة الجاهلية تتعامل مع النحن ولا يوجد فيه مكان للفردية او الانا ، فحضور النساء في الجاهلية ليست فقط يتكأ على نسب الام انما هي شرف وعار او بوتقة يتجلى فيه كل الاعمال النبيلة والخير ، ولم يكتف بالانتقاص من الانتماء الاسري انما عمل على هجاء امه في ديوانه:

جَزاكِ اللهُ شَرّاً مِن عَجوزٍ وَلَقّاكِ العُقوقَ مِنَ البَنينا

تَنَحَّي فَاجلِسي مِنّا بَعيداً أَراحَ اللهُ مِنكِ العالَمينا

أَغِربالاً إذا اِستودِعتِ سِرّاً وَكانوناً عَلى المُتَحَدِّثينا

أَلَم أوضِح لَكِ البَغضاءَ مِنّي وَلَكِن لا إِخالُكِ تَعقِلينا

حَياتُكِ ما عَلِمتُ حَياةُ سوءٍ وَمَوتُكِ قَد يَسُرُّ الصالحينا [19]

ان الانتهاك الذي تفضحه هذه القصيدة في هجاء الحطيئة لأمه وكاننا امام تقويض للانتماء الامومي فالاوصاف التي يهجي بها امه تمثل صفات غير جيدة لا يمكن ان تتصف بها امراة ، ففي البداية يصفها بالعجوز التي هي كبيرة بالعمر وكأن وصفه اياها بكبر السن هو تلويح بان التخريف قد ادركها ، ويدعي انها سيئة الاخلاق مما اضطر ابنائها الى عقوقها ورفضهم الجلوس معها لكونها ثرثارة ونمامة تفشي السر وهي امراة تبحث عن المشاكل ويبغضها ويدعو عليها بالموت لان موتها يريح العباد .

[18]. 28 : ـ ديوان الحطيئة ، شرح حمدو طماس

[19] 144 : ـ ديوان الحطيئة ، شرح حمدو طماس

ومن الملاحظ ان هذه الصفات لا يمكن لولد ان يهجو بها والدته ولكن على ما يبدو ان الشاعر يعاني من عقدة الامومة التي تحولت الى حالة الكبت وكرهه كل الناس ويقينا انها اسقاطات نفسية منبعها الكبت والقهر الذي عانى منه الشاعر بسبب استنكافه من الانتماء الى قبيلته ربما لوجود حالة ضعف او شعوره بعسر الحال قد انعكسا سلبا على والديه فيما بعد لانهما سبب وجوده في هذا العالم ، فالشعور العام الذي تعاني منه نفسيته المكسورة بسبب الشعور بالنقص وعدم الانتماء فالأم هي التي تشكل حاضنة الانتماء القبلي والمكاني ، فرفض القبيلة للحطيئة حاول ان يرجع كل هذه الانتقاص بشخصيته الى سبب الانتماء الى امه التي تسببت له كل هذا الاذى النفسي ، والاحتفاء بالهامش المرأة المختزل بـ (الامومة) لا يتأتى من مجرد كثافة حضورها النصي، على مستوى الاسم الدال عليها، وعلى إفراد قصائد مخصصة لها، بل من خلال تحويلها إلى علامة ثقافية مركزية مدنسة ومهمشة ،و تسلط الضوء على قضايا إنسانية تنتقص من المرأة ، وتستحضر الحياة البائسة التي كان يحيها ، وتعكس حالة الإهمال والإلغاء الممارس ضده من أبناء المجتمع الجاهلي ، وتكشف عن ظواهر اجتماعية سلبية فيه، فيصبح الاحتفاء بها ردّة فعل لـ"حقائق واقعية خارجة عن منطقة النص.وقد سلك منهج هجاء الامر حينما يشبهها بتشبيهات سلبية ، فقال في هجاء امه مشبها لسانها كالمبرد :

جَزاكِ اللهُ شَرّاً مِن عَجوزٍ وَلَقّاكِ العُقوقَ مِنَ البَنينِ

لَقَد سُوّستِ أَمرَ بَنيكِ حَتّى تَرَكتِهِمُ أَدَقَّ مِنَ الطَحينِ

لِسانُكِ مِبرَدٌ لَم يُبقِ شَيئاً وَدَرُّكِ دَرُّ جاذِبَةٍ دَهينِ

فَإِن تُخلَي وَأَمرَكِ لا تَصولي بِمُشتَدٍّ قُواهُ وَلا مَتينِ [20]

ولا بد من التنويه الى ان تكرار هجاء والدته و التأكيد على ان لسانها كالمبرد هو اعتراف من الشاعر بان صفة الهجاء والتهجم على الناس التي هي صفة من صفات الحطيئة هي جينة ورثها عن والدته التي كان لسانها كالمبرد ، والتركيز من قبل الشاعر على اللسان الذي كان كالمبرد اشارة من الشاعر ان هذه الخلق الشيء الذي اتصف به قد جاء عن طريق التربية من والدته التي كانت بمثابة نموذج سيئ يمكن ان ينتمي لها لم تكن الام الصالحة ، وفضلا عن ذلك ان صفة الوقاحة والاستهتار عند المراة كانت مذمومة لانه مطلوب من المراة التي تتصف بالحياء ، النص، ومن الوجه الثقافي، فانه نسقا مفعم بالإدانة لما وصلت إليه حال المهمشين من أبناء

[20]. 145 :ـ ديوان الحطيئة ، شرح حمدو طماس

المجتمع الجاهلي ، فالإشارة إلى مشيئة القدرتصبح منطلقًا لكشف شقاء الإنسان المقهور في الجاهلية البسيط وانسحاقه أمام سطوة الواقع الذي تفرضه قوى المركز وأصحاب النفوذ والسلطة.

ويشتغل النص المخصص للأم على سرديات تنتمي لدائرة الهامش والمهمل داخل المجتمع الجاهلي ، إذ تكشف الصور الحياتية التي يثيرها النص قلقًا معيشيًا ووجوديًّا يتصل بالفئات المهمشة بسبب القمع والتسلط والطغيان والاستبداد والاستغلال الممارس ضدها من فئة المركز التي يسببها اصحاب الدم النقي او النسب .

ولا شك ان هجاءه لأمه او الحضور الانثوي لا يتوقف عند ذلك انما حضور المرأة في شعر الحطيئة في موضوع الهجاء كان ذا لمحة سلبية ولقد اتخذ صفات ارتبطت بالنساء ، وان تركيز الحطيئة على تحقير النساء بشكل عام نابع من الأجواء السائدة التي عاشها الحطيئة مما جعلته مقتنعا بتحقير الرجال او القبائل التي يهجيها من خلال تعريضه بنسائهم كما في قوله :

الا من لقلب عارم النظرات يقطع طوال الليل بالزفرات

اذا ما الثريا اخر الليل اعنقت كواكبها كالجزع منحدرات

هنالك لا اخشى مقالة كاشح اذا نبذ العزاب بالحجرات

لعمري لقد جربتكم فوجدتكم قباح الوجوه سيئي العذرات

لهم نفر مثل التيوس ونسوة مماجين مثل الاتن النعرات

وجدتكم لم تجبروا عظم هالك ولا تنحرون النيب في الحجرات [21]

يتجسد في هذا المقطع هجاءه لقومه وان هناك صفات لنساء قومه حاول الحطيئة ان يجري مقارنة بين التيوس والاتن النعرات فالتيوس هم الذين لا قرار لهم وليس لديهم قدرة او الشجاعة في اتخاذ القرارات وان نسائهم متوحشات جائحات وشهوانيات وهو تشبيه بصفات عدم الفهم او التعقل ، وان حياتهم بهيمية ، فالغرائزية هي المحرك الاول والاخير لكل افعال قومه من الرجال والنساء، فالصفات البهئيمية والشهوانية التي اتصفت بها النساء كانت بمثابة الكناية التي ابعدت عن الرجال اهم صفة في الجاهلي هي المروءة ، فالشهوانية للمراة مذمومة وهي كذلك تلميح الى انتهاك الاعراض الذي كان يجري داخل هذه القبيلة لكونه حرمتها منتهكة من

21. : 28 المصدر نفسه :-

قبل الرجال ، ولا يوجد رادع معنويا او مادي يمكن ان يلجم هذه القوة الغرائزية ، فضلا عن ذلك فان الجانب الشهواني او الغرائزي اذ اتصف به قوم ابعد القبيلة عن صفة الحكمة ووضعها في صفت البربرية والتوحش وعدم الثقافة وابعاد عنها كل القيم الانسانية .

وهذا لا يمنع من ان تكون هناك فسحة في بعض قصائده تدل على الحب او تعلق بالمراة وان كانت في معظم قصائده تمثل نوعا من الطيف او العاذلة التي يحاورها في قوله

ألا طَرَقَتْنَا بعدما هَجَدُوا هِنْدُ* وَقَدْ سِرْنَ غَوْرًا واسْتَبَانَ لنا نَجْدُ

ألا حَبَّذا هِنْدٌ وأرضٌ بها هِنْدُ* وهِنْدٌ أتى مِنْ دُونها النَّأْيُ والبُعْدُ

وإنَّ التي نَكَّبْتُها عن مَعَاشِرٍ* عَلَيَّ غِضابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

أَتَتْ آلَ شَمَّاسِ بنِ لأْيٍ وإنَّما* أتاهُمُ الأحْلامُ والحَسَبُ العِدُّ

فإنَّ الشَّقِيَّ من تُعَادِي صدُورُهمْ* و ذو الجَّدِّ مَنْ لانُوا إليه ومَنْ ودُّوا

يَسُوسون أحلامًا بَعِيدًا أنَاتُها* وإنْ غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظةُ والجِدُّ (22)

يثير هذا النص نوعا من الدهشة في كون ان هند اسم امرأة يحبها الشاعر ويعشقها فينتظر هجود قومها او غفلتهم لكي تاتي اليه ، وان استعانة الشاعر بفعل (طرقتنا) هو استدعاء لنسق ثقافي يخالف ما تبحث عنه انا الشاعر من الشجاعة في كون ان العشاق الذين يتصفون بالشجاعة والاقدام هم الذين يذهبون و يغامرون في الذهاب الى المحبوبة ولكن الشاعر هنا يشعر بنوع من النرجسية وان هند هي التي يتمنى ان تاتي بقوله(الا طرقتنا) لانه انسان معشوق وان مناجاة طيف هند الذي يتكرر في كثير من القصائد لا نجد ذلك الغزل او التفصيل الجسدي او الفنتازيا الجسدية في الوصف الساخر الذي تعود عليه الشاعر في وصف هجاء المراة ، فابتعاد الشاعر عن الوصف الجسدي ابعد عنه صفة الشهوانية والصق بها صفة العفة ، فهو مدح للشاعر بصورة غير مباشرة في كونه كان لا يحب النساء جسديا لانه لا يمكن ان ينجرف وراء شهواته ، من جانب اخر نتلمس منه تركيزا على الانتقاص من قيمة هذه المراة التي لم يتغزل بجمالها الجسدي وما تتصف به من انوثة حقيقية . وهذا انما يدل على انها طيف او امنية يبحث عنها الشاعر كما في قوله ايضا :

---

22 47 : . : ديوان الحطيئة ، شرح حمدو طماس

أَلاَ طَرَقَتْ هِنْدُ الهُنُودِ وصُحْبَتِي بِحَوْرَانَ حَوْرَانِ الجُنُودِ هُجُودُ

فَلَمْ تَرَ إلاَّ فِتْيَةً ورِحَالَهمْ وجُرْدًا على أَثْبَاجِهِنَّ لُبُودُ

وكَمْ دُونَ هِنْدٍ مِنْ عَدُوٍّ وبَلْدَةٍ بِهَا للعِتَاقِ النَّجياتِ بَرِيدُ

وخَرْقٍ يَجُرُّ القَوْمَ أنْ يَنْطِقُوا بِهِ وتَمْشِي به الوَجْنَاءُ وهي لَهِيدُ

كَأنْ لم تُقِمْ أظعانَ ليلى بِمُلْتَوًى ولَمْ تَرْعَ في الحَيِّ الحِلالِ تَرُودُ (23)

فحضور هند في المقدمات الاستهلالية في قصائد الحطيئة ارتبط بحالة الراحة والطمأنينة والمسرة اذ ان هند تكون حاضرة في قصائد المدح والغزل او الوصف وهو حالة من تانيث القصيدة او محاولة الشاعرة بالاتبعاد عن البرود العاطفي او الحرارة العاطفية التي يمكن ان تمثل تعابير عاطفية في الشعر لان القصيدة تخاطب العواطف والتاثير على المتلقي ولكن في الهجاء تتحول هند الى امراة تتصف بكل الصفات القبيحة ، ولابد من التنويه ان الشعراء بصورة عامة يجدون من المروءة بان لا يصفون امراة بالقبح ، فاحترام المراة كان من الجوانب التقديسية ولاسيما في وصفهم للجانب الجسدي ، اما المدنس لديهم فانه يرتبط بالجانب المعنوي والاخلاقي ، فالمراة القبيحة لديهم كانت تتصف بانها ذات اخلاق بعيدة عن المراة الحرة ، ولكن من جانب اخر نتلمس في قصائد اخر هجاء للمراة غير الحرة او العبد او الجارية والتي توزع وصفها ما بين الشهوة وسواد البشرة .

هنا، يصل الحطيئة بين معاناته الفردية التي دفعت به إلى الاتصال بغرض الهجاء - حيث الامومة –كانت بمثابة حالة عن الاستبداد والطغيان الفحولي فالخطاب يتكئ على صورة أمومية دلّلت عليها مفردة بصيغة هجائية ذات الصلة بالانتقاص من الامومة ، وفيه يشير الحطيئة عن حالة الكبت والنكوص ، ويكشف نص الأم تكثيف لصور حياتية تمسّ الشرائح المعدمة في المجتمع الجاهلي ، عن هاجس من التكثيف العاطفي الذي يعبر عن قلق نفسي جارف .

وخلاصة ما تقدم في هذا البحث :

23. ـ ديوان الحطيئة ، شرح حمدو طماس: 45

- شكلت الامومة وهجائها المتكرر من قبل الحطيئة عقدة جسدت شكلا من أشكال التحول المفصلي والثورة الفكرية على مسلمات الثقافة والفكر المتأصلة في الثقافة العربية انذاك، كما وظف فيها الهامش المرأة (الأم) كأداة كشف إنساني سلطت الضوء على قضايا إنسانية، ربط فيها بين مفهوم الأنوثة وقيم الانتقاص من الاخر ، وثمّة مضمرات نسقية فاعلة وخفية حكمت الحطيئة ووجهت نصوصه، فكانت المحرّك الفعلي لخطابه الدائم عن أمه الذي لازم شعره دونما انقطاع ، غير ما تشير له الدراسات الجمالية التي تعزو هذه الملازمة للأم في نصوصه الشعرية إلى تعلقه الكبير بها، فهذا الخطاب المتصل بالأم، ليس نتاجَ تعلّقٍ شديدٍ بأمّه وافتقادٍ لعاطفة الأمومة، ومن الناحية الفعلية فان الحطيئة لم يعرف أمه جيدًا، وعلاقته بها يعتريها نقص الإدراك والوعي – وإنْ كنا لا ننفي هذا التعلق وهذا الافتقاد من أصله ، لكن الأم في نصه الشعري ليست مقصودة بحدّ ذاتها بقدر ما هي تمثيل صادق وتعبير عن تجربة إنسانية هامشية مريرة وعقدة، وبقدر ما تدلل على قيم جديدة تنحسر فيها هيمنة العرف والتقليد الشعري لصالح قضايا هامشية، تكشفها القراءة النسقية ،

- الأمّ هي الثيمة الأساس في الاستبدال الموقعي ما بين المركز والهامش أو الفحولة والأنوثة في التمظهرين، فالمرأة الأم، في كلاهما هي أداة انزياح وخرق للنسق المركزي وانحساره أمام الحضور الفاعل للهامش، فضلا عن ثمّة مضمرات نسقية فاعلة وخفية حكمت الحطيئة ووجهت نصوصه فكانت المحرّك الفعلي لخطابه الدائم عن أمه الذي لازم شعره دونما انقطاع ،

- غير ان ما تشير اليه الدراسات الجمالية التي تعزو هذه الملازمة للأم في نصوصه الشعرية إلى تعلقه الكبير بها، فهذا الخطاب المتصل بالأم، ليس نتاجَ تعلّقٍ شديدٍ بأمّه وافتقادٍ لعاطفة الأمومة، ففعليًا الحطيئة لم يعرف أمه جيدًا، فأمه كانت بمثابة عائق في الحصول على المكانة والمنزلة الاجتماعية ، وبالتالي، علاقته بأمه يعتريها نقص الإدراك والوعي – وإنْ كنا لا ننفي هذا التعلق وهذا الافتقاد من أصله - لكن الأم في نصه الشعري ليست مقصودة بحدّ ذاتها بقدر ما هي تمثيل صادق وتعبير عن تجربة إنسانية هامشية مريرة، وبقدر ما تدلل على قيم جديدة تنحسر فيها هيمنة العرف والتقليد الشعري لصالح قضايا هامشية، تكشفها القراءة النسقية الثقافية الى ان الحطئية اتخذ من الهجاء طريقة للاعتراف بالوجود والية دفاعية .

المصادر والمراجع :

1 ـ انثوية العلم من منظور الفلسفة النسوية ، ليندا جين شيفرد ، ترجمة يمنى طريف الخولي ، عالم المعرفة ، الكويت، 2004.

2 الخطاب النسوي في الادب العربي الحديث ، احمد دوغان ، وزارة الاعلام ، دمشق، ط1 ، 2011.

3 ديوان الحطيئة ، الحطيئة ، شرحه حمد طماس ، دار المعرفة ، ط2 ، 2005 ، بيروت ، لبنان.

4 الشخصانية ، اما نويل مونييه ، ترجمة محمود جمول ، المنشورات العربية وشركة فرنسية ، ط1 ، 1986 ، لبنان

5 شروح على ارسطو مفقودة في اليونانية ، ورسائل اخرى ، تح عبدالله الرحمن بدوي، دار المشرق ، لبنان ، 1986 .

6 الشعر والوجود ، دراسة فلسفية في شعر ادونيس ، عادل الظاهر ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا ن دمشق ، ط1 ، 2000

7 المأدبة ، فلسفة الحب ، افلاطون ، ترجمة وليم الميري ، دار المعارف ، القاهرة ، 1970 .

8 مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، حفناوي بعلي ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ،ط1 ، 2009 ، .

9 ـ المراة واللغة ، د. عبدالله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، ط1 ، 1996 .

10 المصطلحات الأدبية الحديثة ، محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط 3 ، 2003 .

11 المناهج النقدية والنص الادبي ، القبعة والساحر ، د. محمود خليف خضير الحياني، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، 2019 .

12 العلم المرح ، نيتشه ترجمة حسان بورقية ، محمد الناجي ، افريقيا الشرق ، الجزائر .

13 النقد الادبي النسوي في الغرب وانعكاساته في النقد العربي المعاصر ، سعد مانع ، المجلة العربية للثقافة ، سنة 16 ، ع32 ، 1997 .

14 النص الانثوي والنقد النسوي ، مشروعية قراءة في الابداع العراقي ، سلسلة ثقافية شهرية ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، ط1 ، 2020 .

15 النظرية الأدبية المعاصرة ، رامان سلدن ، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1996 .

16 الهيمنة الذكورية ، بيار بورديو ، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، 2009 ، بيروت.